الإمامُ الأَلُوسِي وَمَنْهَجُهُ فِي تَوْجَيهِ أَقْوَالِ السَّلَفِ مِنْ خِلاَلِ كِتَابِهِ رُوحُ المَعَانِي -- نَمَاذِجْ مُخْتَارَة

Imam al-Alūsī's Methodology in Interpreting the Statements of the Salaf in His Work Rūḥ al-Ma'ānī: Selected Examples"

أحمد بوطيبة بن قلاوز*

[1] جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة -كلية العلوم الإسلامية.

a.boutaibabenklaouz@univ-alger.dz

مخبر الدراسات القرآنية والمقاصدية جامعة وهران1

تاريخ الاستلام: 2025/08/29 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النَّشر: 2025/12/16

ملخص: لقد حظي كتابُ الله تعالى بالعناية الفائقة والاهتمام البالغ من علماء الأمة منذ عصر النزول إلى يومنا هذا إن من حيث الحفظ و التدوين، أو من حيث الفهم والتفسير، ألاَ و إنّ من أشرف العلوم المتعلّقة بالقرآن علم التفسير، فهو الذي يَعرِف الناس به مراد الله تعالى، وقد تنوعت أساليب المفسّرين ومناهجهم في التعامل مع القرآن الكريم بحسَب خلفياتهم العقدية والفقهية واللغوية، ممّا نتج عنه مدارس تفسيرية متعدّدة ومتنوعة.

ألاَ وإنّ من أهم طرائق التفسير التي اعتمدها المفسرون، التفسير بالمأثور ومن بين أنواعه التفسير بأقوال السلف التي كانت ولا تزال منبعًا أصيلاً للعلماء في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ونظرًا لتعدُّدها في الآية الواحدة ، سلك المفسرون مناهج مختلفة في كيفية توجيهها إمّا جمعًا أو ترجيحاً أو رفضًا. ومن العلماء الذين برزوا في هذا الجانب الإمام شهاب

* المؤلف المراسل

الدين الألوسي من خلال كتابه الموسوعي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" حيث سلك منهجا فريدًا بأسلوب علمي رصين ودقيق، سنكتشفه من خلال هذه الدراسة التي جمعت بين الجانب النظري(الذي ضمّ المفاهيم والمصطلحات)، وجانب تطبيقي (الوقوف على منهج الألوسي من خلال نماذج مختارة من القرآن) وخاتمة ضمّت أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية : الألوسي، روح المعاني، أقوال السلف، التوجيه، الدلالة القرآنية

Abstract: The Book of Allah, the Exalted, has received exceptional care and profound attention from the scholars of the Muslim community since the time of its revelation until today, whether in terms of memorization and documentation or in terms of understanding and interpretation. Indeed, one of the most honorable sciences related to the Qur'an is the science of **tafsīr (exegesis)**, through which people come to know the intended meanings of Allah Almighty.The exegetes' approaches and methods in dealing with the Qur'an have been diverse, shaped by their theological, juristic, and linguistic backgrounds, which led to the emergence of multiple and varied exegetical schools. Among the most significant approaches to tafsīr adopted by scholars is **tafsīr bi'l-ma'thūr** (interpretation based on transmitted reports), one of whose types is interpretation through the sayings of the early generations (al-salaf). This has always remained a primary source for scholars in their explanation of the Qur'anic verses. Given the multiplicity of such reports concerning a single verse, exegetes adopted different methods in addressing them: sometimes by combining them, sometimes by preferring one over another, and at times by rejecting certain views. Among the scholars who distinguished themselves in this field is **Imām Shihāb al-Dīn al-Ālūsī**, through his monumental work *Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa'l-Sab' al-Mathānī*. He employed a unique methodology characterized by scholarly rigor and precision—a methodology that will be explored in this study, which combines both a theoretical section (covering key concepts and terminology) and an applied section (examining al-Ālūsī's method through selected Qur'anic examples), followed by a conclusion presenting the main findings.

Keywords.:*Al-Alusi*A، *Ruh al-Ma'ani* Sayings of the Salaf ،Exegetical Direction، Qur'anic Semantics

1– مقدّمة:

قد كان للصحابة والتابعين فضل السبق في تلقي الخطاب القرآني من رسول الله ﷺ أو ممن تتلمذوا عليه، كما لا يخفى أن أقوال السلف في التفسير كانت ولا تزال مرجعًا أساسًا عند عامة المفسرين، قديمًا وحديثًا.

ولقد كان لتنوّع مناهج المفسرين في التعامل مع أقوال السلف، آثارًا على المعاني من حيث قبولا وردّا، فمن المفسرين من يذكرها جميعًا دون فرز، ومنهم من يلجأ إلى الترجيح واختيار ما وصل إليه فهمه واطمأن له ومنهم من يقوم بتوجيهها بما يرفض التعارض الظاهري لها، أو يجمع الأقوال وفق منهج تفسيري توافقي.

ومن الذين كانت لهم العناية بأقوال السلف ترجيحا أو توجيها أو جمعًا الإمام شهاب الدين الالوسي (ت: 1270هـ) من في تفسيره الموسوعي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، إذ لم يكتفي بسردها فقط ، بل راح في إعمال فكره وعقله في بيان دلالتها ومناقشتها، مع دوام حرصه على ترجيحها أو توجيهها بما يتوافق والمقصد القرآني، مستعينا في ذلك بمجموعة من القواعد والأدوات .

ومن هنا تظهر أهمية هذا البحث في دراسة تفسير الإمام الألوسي، والوقوف على طريقته في توجيه الأقول وتحليلها ومناقشتها، ومدى التزامه بقواعد الرجيح ، وقد قمت باختيار نماذج من القرآن الكريم .

1.1–إشكالية البحث:

يتحدد الإشكال الرئيس لهذا البحث في السؤال الآتي:

كيف وجّه الإمام الألوسي أقوال السلف في تفسيره "روح المعاني"؟ وما هي الأليات و الأدوات التي توكأ عليها في ذلك؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية منها:

ما مفهوم "توجيه الأقوال" عند المفسرين؟

ما هي الخصائص المنهجية التي اتسم بها توجيه الألوسي لأقوال السلف؟

كيف تعامل الألوسي مع الأقوال المتعددة والمتعارضة ؟

ما هي أبرز مصادره في النقل عن السلف؟

2.1.أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى رصد طريقة ومنهج الألوسي في التعامل مع أقوال السلف المتعددة في المفردة القرآنية، مع الوقوف على طريقته في مناقشة الأقول، وأهم القواعد التي اعتمدها في التوجيه.

في محاولة لاختيار نماذج تطبيقية تبرز كيفية تعامله مع أقوال السلف.

3.1.أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث فيما يلي:

يعالج موضوعا هامًا لم يسبق له في الدراسات السابقة .

مكانة تفسير روح المعاني ، حيث يعدّ من أهم التفاسير و أكثرها إيرادا للأقوال.

يسهم البحث إلى بيان أهمية علم توجيه أقوال السلف. مع تقديم درسا عمليا للباحثين في كيفة التعامل مع التفسير التراثي ونقده.

4.1.منهج البحث:

طبيعة الموضوع تفرض علينا المناهج التالية:

المنهج الوصفي حيث وصف مواقف الألوسي، التحليلي: تحليل المواقف.

المنهج الاستقرائي(الناقص): لرصد توجيهات الإمام لأقوال السلف.

5.1.الدراسات السابقة:

رغم الدراسات المنصبّة على تفسير روح المعاني إلا أنّ جانب توجيه الأقوال لم ينل العانية الكافية ، حيث كانت الدراسات موجهة إلى جانب العقيدة والبلاغة ومن أبرزها ما يلي:

دراسة بعنوان "منهج الألوسي في تفسيره روح المعاني" – وقد ركزت على مصادر والأسلوب فقط.

بحث "التفسير بالمأثور عند الألوسي" وانصبّت الدراسات على أقوال السلف في التفسير دون التركيز على التوجيه.

1.6.خطة البحث:

جاءت خطة هذه الدراسة على النحو الآتي:

جانب نظري يضم مايلي:

-"روح المعاني" ومكانته في التفسير.

- توجيه الأقوال التفسيرية- مفاهيم ومناهج-

- الجوانب المنهجية في توجيه الألوسي لأقوال السلف

جانب تطبيقي: دراسة تطبيقية على نماذج مختارة.

1.7. الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

2- الجانب نظري: مفاهيم ومصطاحات.

"روح المعاني" ومكانته في التفسير.وللوقوف على هذه الجزئية ينبغي التطرق إلى مايلي:

1.2. ترجمة موجزة للإمام الألوسي وجهوده العلمي:

هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، وُلد سنة 1217هـ/1802م في بغداد، وتوفي بها سنة 1270هـ/1854م. [1]

يعد الإمام الألوسي من كبار العلماء في العصر العثماني، فقد جمع الله له ما بين علوم الشريعة واللغة والفلسفة، كما كان له حضورا بارزا في علوم شتّى: كالتفسير، والفقه، والبلاغة والتصوف. تلقى الإمام الألوسي تعليمه في بغداد، وكان شديد الشوق إلى طلب العلم، و التقى بكثير من علماء الحرمين وذلك خلال رحلته إلى الحج الحج ممّا كان سببا في توسيع مداركه العلمية .

2.2. بعض مؤلفاته:

تفسيره المعروف بـ: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"ويعدّ هذا أشهر مؤلفاته

-الأجوبة العراقية على المسائل الإيرانية.

-غرائب الاغتراب، ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإيهاب.

الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية: جَلاء العينين في محاكمة الأحمدَين.

3.2.التعريف بتفسير "روح المعاني" .

بدأ الألوسي تأليفه لكتابه روح المعاني سنة (1252هـ) و انتهى منه سنة (1257هـ)، وكان ذلك بسبب رؤية رءاها في المنام، فحمله ذلك على الاشتغال على كتاب الله تفسيرا وشرحا وبيانا ، قال رحمه الله: (رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية لا أعدها أضغاث أحلام ولا أحسبها خيالات أوهام أن الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبهت من نومتي، وأنا مستعظم رؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير.[2]

4.2– مصادره:

ولما كان العلم تراكمي، حيث يعتمد كل عالم على من سبقه في نفس العلم، فقد اعتمد الإمام الألوسي على مجموعة من المصادر نذكر منها:

–من كتب التفسير:

الإمام محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

والإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) من كتابه الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وكذلك الإمام عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 542هـ) من تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

والإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ) من مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير.

والإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ) من الجامع لأحكام القرآن.

و الإمام عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ) من أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

ثم الإمام عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ) من مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

-من كتب اللغة والبلاغة: سيبويه، المبرد، الزجاج، الجرجاني، السكاكي.

-من كتب الحديث: الكتب التسعة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود وغيرها من كتب الحديث الأخرى[3] .

-من كتب الفقه: فلكونه حنفي المذهب اعتمد على كتب الأحناف في غير تعصّب، مع إيراد آراء الشافعية والمالكية والحنابلة.

-من كتب التصوف: القشيري، السهروردي وغيرهم.

5.2.منهجه في التفسير:

اعتمد الألوسي منهجا معينا في تفسيره، حيث كان يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي و خاصمة ما ورد تفسيري الطبري والثعلبي بعصض الأدوات المساعدة في ذلك نذكر منها :

. نزعته العقلية ومناقشته للأراء الصادرة من بعض المتكلمين والفلاسفة المخالفين، بأسلوب علمي دقيق.

توظيفه للأساليب البلاغية، وايستعراضه لدقائها وجزئياتها.

نزعته الصوفية وذلك راجع لتأثره بالإمام القشيري.

اهتمامه بالجانب الفقهي في التفسير، مع التركيز على خلفيته الفقهية الحنفية.

ممّا رؤي عليه نقده للأراء وتحليلاته قبل عملية التوجيه وهذا ممّا يكون سببا في الإقناع.

6.2.عرض الألوسي لأقوال السلف:

ممّا امتاز به الألوسي في منهجه:

- عرضه لأقوال السلف المأثورة عرضا تسلسليا، ثم يردفها دراسة معجمية ، ثم فقهية ، ثم عقدية إن وجدت.
- حرصه على ذكر الأقوال ، مع إبراز تعقلاتها النقدية كقوله: "وفيه نظر... [4]أو "يَرِد عليه... [5]وغيرها من العبارات كما يلجأ إلى توجيه أقوال السلف بما يحقق الجمع أو الترجيح.

7.2.توجيه الأقوال التفسيرية:

1.7.1.مفهوم توجيه الأقوال وأهميته في التفسير:

2.7.2.تعريف توجيه الأقوال:

– لغةً: مأخوذ من وجه، والوجه: الوجه مستقبل كل شيء والجهة النحو. تقول كذا على جهة كذا[6]، ووجه الكلام: وَوجه الْكَلَام: السَّبِيل الَّتِي تقصدها بِهِ [7]، ويقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه[8]. وتجئ على الاستعارة للمذهب والطريق[9].

– اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني بقوله: "إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم". [10] وحقيقته وقوف الشّارح أو المفسّر عند ذلك القول، يبين سبب اختيار القائل لهذا القول دون غيره، أي بيان وجه الكلام ومعناه[11] فهو شرح وفق فهم السلف للآية الكريمة أو المفردة القرآنية مع بيان القواعد التي بني عليها كل قول تحقيقا للمراد الشارع ثم بيان علاقة الأقوال ببعضها البعض توافقا أو تعارضا ، مع مراعاة اللغة واليساق. ويمكن تعريفه بما يلي: تفسير يستند على أقوال السلف و أدلّتهم إمّا جمعا أو ترجيحا لها، وفق أسس وضوابط علمية دقيقة.

3.7.2.أهميتة :

تعدّد أقوال السلف لا يعني دائما تعارضها، بل قد يكون تنوعا في الدلالة، ممّا يفرض على المفسّر ما بيان العلاقة بينها. مع توفر الفهم الشمولي للسياق الذي وردت فيه الآية، الذي يؤدي إلى تمييز الأقوال المختلفة إمّا تنوعا أو تضاد. الممفضي إلى اختيار المعنى الصواب.

4.7.2. مصطلحات ذات الصلة:

المصطلح	التعريف	الفرق عن التوجيه
الترجيح	تفضيل قول على غيره لتعذر اجتماعهما بدليل راجح	التوجيه لا يستلزم التفضيل، بل يُبيّن وجه كل قول ودليله.
الجمع	الاعتداد بجميع الأقوال أو ببعضها لأنها تؤدي نفس المعنى مختلفان، باعتبار أن الموجّه قد علم مأخذ القول ودليله.	التوجيه يُمهّد للجمع فهما معنيا
الموازنة	عرض الأقوال مع بيان مكمن القوة والضعف	الموازنة أوسع من التوجيه

كثيرا ما يخلط الباحثون بين بين الترجيح، والتوجيه، والجمع والموازنة وهذا الجدول يبين أهم الفوارق بينها:

فهنا يتّضح أنّ التوجيه لا يعني الترجيح ولا الجمع ولا الموازنة ، بل هو مرحلة سابقة تحتاج إلى فهم الأقوال كلها مع أدلّتها.

5.7.2.ضوابط التوجيه الصحيح:

حتى يكون توجيه الأوقال صحيحا سليما من أي غلط لابد من توفر بعض الضوابط نذكر منها:

- التحقق من صحة القول ومدى نسبته إلى قائله.
- فهم السياق .
- الاعتبار بالدلالة اللغوية والمعجمية، لأنّ كثير من الأقوال التفسيرية مبيني على الإشتقاق وغيره من مباحث اللغة.

- مراعاة التكامل بين الأقوال وهذا ما أشار إليه ابن تيمية ذلك بقوله: ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين: " أحدهما " ليس فيه تضاد وتناقض؛ بل يمكن أن يكون كل منهما حقا وإنما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصفات أو العبارات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب. " [12]
- عدم تحميل القول ما لا يحتمله..

8.2. الجوانب المنهجية في توجيه الألوسي لأقوال السلف :

1.8.2.مصادر الألوسي في توجيه أقوال السلف:

حِرصُ الألوسي في تفسيره "روح المعاني" على الاستناد إلى مصادر تفسيرية معتبرة عند توجيه أقوال السلف، وقد تنوعت هذه المصادر بين تفسيرية، لغوية، فقهية، وأصولية. ومن أبرزها:

- كتب التفسير بالمأثور: مثل: تفسير الطبري (ت. 310هـ)، الذي يعد مرجعه الأساس في تتبع الأقوال وتوجيهها[13] ،تفسير ابن عطية (ت. 546هـ) "المحرر الوجيز"، وغيرها.
- كتب اللغة والنحو: مثل "الصحاح" للجوهري، و"لسان العرب"، و"المفصل" للزمخشري وغيرها.
- كتب الفقه والأصول ودلالات الألفاظ .
- كتب العقيدة.

2.8.2. أدوات التوجيه عند الإمام الألوسي:

ويمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

مباحث اللغوية: (في التحليل الإشتقاقي للمفردة استشهاد بالأبيات الشعرية والقراءات)

الدلالة السياقية: يعتمد في توجيهه على سياق الآية ما قبلها وما بعدها ن وكذا وترتيب الاحداث

المباحث البلاغية: (حيث يكثر من استعمال علم المعاني والبديع والبيان في توجيه الأقوال)

المباحث الأصولية والفقهية: استخدام القواعد الاصولية في ترجيح أو رد الأقوال.

المباحث العقلية والكلامية: وظيفه للعقل والمنطق بين الأقوال.

3.8.2- موقف الألوسي من الخلاف بين السلف:

ممّا يظهر على الإمام الألوسي انّه لا يسلّم بتعارض الأقوال بل يسعى إلى الجمع الأقوال في إطار واحد، حيث يعتبر أنّ كل قول و إن كان ظاهره التعارض لكنه يمثّل جانبا من المعنى. وعليه يمكن جمع مواقفه في ثلاث اتجاهات(التوفيق بين الأقوال، الترجيح عند التعارض،رفض بعض الأقوال)

4.5. السمات العامة لمنهج الألوسي في التوجيه:

يمكن رصد سماته فيما يلي:

- عدم التعصب لقول ما بل يسعى إلى التحليل النقدي المنصف.
- مراعاته للسياق في توجيه المعنى
- الاعتداد بالتنوع في بالقراءات القرآنية بحيث يعتبر ذلك طريقا الى توسيع المعنى .
- اعتماده على المدارس التفسيرية وانفتاحه عليها مع التحفض على بعض المدارس الكلامية والفلسفية.

حرصه على توظيف مباحث اللغة والفقه وأصوله والعقيدة والتصوف والمنطق وغيرها من العلوم

3

– الجانب التطبيقي :(دراسة تطبيقية على نماذج مختارة)

1– قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]

– أقوال السلف في الخليفة و الملائكة:

وقيل: ملائكة الأرض بقرينة أن الكلام في خلافة الأرض،

وقيل كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، فشمل المهيمين وغيرهم

وقيل: إبليس ومن كان معه في محاربة الجن الذين أسكنوا الأرض دهرا طويلا ففسدوا فبعث الله تعالى عليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن.

أنهم ما عدا العالمين ممن كان مودعا شيئا من أسماء الله تعالى وصفاته، وأن العالمين غير داخلين في الخطاب ولا مأمورين بالسجود لاستغراقهم وعدم شعورهم بسوى الذات.

أقوال السلف في الخليفة :

قيل: أن المراد به آدم عليه السلام.

وقيل: هو وذريته عليه السلام، ويؤيده ظاهر قول الملائكة، فإلزامهم حينئذ بإظهار فضل آدم عليهم لكونه الأصل المستتبع .

وقيل: هم الأنبياء أو الحكام العادلون.

توجيه الألوسي: اختار الألوسي القول بأنّ الخليفة هو آدم عليه السلام وذريته ثمّ برّر اختياره بقوله: وبه جمعت الأضداد وكملت النشأة وظهر الحق، ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي وعدمذكر ذريته هو من باب الاستغناء بكر أبي القبيلة عنهم ، إلا أن ذكر الأب بالعلم وما هنا بالوصف، ومعنى كونهم خلفاء أنهم يخلفون من قبلهم من الجن بني الجان أو من إبليس ومن معه من الملائكة المبعوثين لحرب أولئك على ما نطقت به الآثار، أو أنه يخلف بعضهم بعضا.[14]

2 . اهتمامه بالسياق في توجيه المعنى:

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]

في هذه الآية نجد أنّ الإمام الألوسي عند بيان معنى "السبب" أورد أقوال السلف، ثم قام بتوجيه المعنى انطلاقا من توظيف السياق العام للآية الذي يشير إلى معنى السير في الأرض فقال رحمه الله: " مِن كلّ شيْء أراده من مهمات ملكه ومقاصده المعلقة بسلطانه سَبَباً أي طريقا يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة لا العلم فقط وإن وقع الاقتصار عليه في بعض الآثار "[15]

وذلك لأنّ السبب يعني الطّريق الذي يتوسّل به إلى الأسباب، ويعني الباب، فمن ذلك قوله تعالى حاكيا قول فرعون: ﴿ وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ﴾ [غافر: 36-37] ، وسمي الطريق سببًا؛ لأنه يتوصل بسلوكه إلى المقصود. وسمي الباب سببًا؛ لأنه يدخل منه إلى المقصود[16]

فنجد أنّه أعمل السياق الذي وردت فيه المفردة القرآنية ولم يعزلها عنه.

فيذكر الألوسي ما قيل في "السبب"، ويعرض أقوالًا عديدة، منها أنه: الطريق،أو العلم،أو السبب الذي يتوصل به إلى المراد.

ثم يُعلّق بقوله: " وإن وقع الاقتصار عليه في بعض الآثار. " [17] أي الاقتصار على العلم.

وهذا التوجيه ينبع من مراعاة سياق الآيات التي تتحدث عن رحلات ذي القرنين وطلبه في الأرض، ما يدل على أن المراد بالسبب هو وسائل السير والتنقل والتغلب على الصعوبات، وهذا يظهر في تعبيره: " وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود "، وهو يشمل المسير واستعمال الوسائل العلمية أو الحسية.

3. الاعتداد بالقراءات القرآنية في توجيه اللفظ وتوسيع الدلالة:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24]

يذكر الألوسي القراءتين: "بضنين" (بمعنى بخيل)، و"بظنين" (بمعنى متهم)، ثم يُبرز الأبعاد البلاغية، واللغوية، والأثرية للقراءتين معًا، ويوجّه المعنى بما يخدم ملاءمة التعبير للموضع فيقول بأنّها: أنسب بالمقام لاتهام الكفرة له صلّى الله تعالى عليه وسلم ونفي التهمة أول من نفي البخل[18] .

وبالعودة إلى الآية فقد قرئ: بظنين بالظاء، أي: بمتهم، وهي قراءة سبعية أيضًا[19] ، (والفرق أن الضنين: البخيل، والظنين: المتهم، والمعنى على الأول: ما هو ببخيل عليكم بما أوحي إليه، فيكتم شيئًا منه، وعلى الثاني: ما هو بمتهم فيما يخبركم به عن الله عز وجل، والقراءتان صحيحتان، غير أنّها لما سُبقت بقوله تعالى ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21] ناسب تقديم

احتمال الكلام عن عدم التّهمة وقرئ بضنين في هذه السورة لما فيها من بيان التبليغ وعدم البخل به وقرئ بظنين لبيان عدم التهمة والمعنيان مرادان.

التحليل:

يبيّن الألوسي الفروق اللغوية الدقيقة بين "الضنين" و"الظنين."

يُعطي البعد البلاغي لترتيب القراءات ومناسبتها للسياق.

يربط المعنى بالفقه في البلاغ، إذ إن الآية في مقام تنزيه النبي ﷺ عن كتمان الوحي أو تهمة الافتراء.

يجمع بين القراءتين بلا تعارض، بل يرى فيهما تكاملًا دلاليًا.

4. تفسير قوله تعالى﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة: 4]

أقوال السلف في الحطمة:

قيل: الحطمة اسم من أسماء النار لأنّها تحطم كلّ شيء وقع فيها.

وقيل: وفسر الضحاك الحطمة هنا بالدرك الرابع من النار وذكرها في موضع آخر بأنها الطبقة الثالثة، وقال الكلبي: هي الطبقة السادسة من جهنم.

وقيل: الحطمة هي باب من أبواب جهنم.

وحكى القشيري عنه أنها الدرك الثاني.

وقال الواحدي: هي باب من أبواب جهنم،

وزعم أبو صالح أنها النار التي في قبورهم وليس بشيء[20] .

– توجيه الألوسي:

اعتمد الألوسي على الدلالة المعجمية في ترجيح أقوال المفسيرين واختباره لمعنى كلمة الحطمة فقال رحمه الله: والحطم كسر الشيء كالهشم ثم استعمل لكل كسر متناه وأنشدوا:

إنا حطمنا بالقضيب مصعبا ... يوم كسرنا أنفه ليغضبا

ويقال: رجل حطمة أي أكول تشبيها له بالنار ولذا قيل في أكول كأنما في جوفه تنور[21] .

فالله يطرح العاصي بسبب أفعاله في الْحُطَمَةِ أي في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها، فهو وصف لها لما فيها من شدة الهلاك، فلا مانع أن يكون اسما ووصفا لها ثم قال واستعمال لفظ النبذ تعبير منه عن إهانة العاصي و أنّه لا قيمة له، وهنا نرى مدى دقة توجيه الإمام الألوسي في توجيهه لأقوال السلف المذكورة حول مفردة الحطمة، أنّه مزج بين الجانب الدلالي حيث الاشتقاق اللغوي والتصوير البلاغي وذلك قصد تصوير هول يوم القيامة يمزج بين الاشتقاق اللغوي والتصوير البلاغي، واستثماره للمعاني الحسية التي تعطي صورة أو مشهدا في المعنى العقدي .

5. تفسير قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23]

– أقوال السلف:

قيل: ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته سبحانه ، وهو قول الأغلبيه أي الجمهور.

وقيل: أي منتظرة لـ: ملك أو رحمة أو ثواب ربها ناظرة والنظر على معناه المعروف.

وقيل على حذف مضاف والنظر بمعنى الانتظار فقد جاء لغة بهذا المعنى أي إلى أنعام ربها منتظرة.

وقيل: بمعنى التوقّع والرجاء لا الرؤية الحقيقة[22] .

– توجيه الألوسي:

•فالإمام الألوسي رجّح القول الأول وهو قول الجمهور بأنّ المراد الرؤية البصرية وقال بأن القول بالانتظار لا يعبّر عن النظر و استدل لذلك بأحاديث منها :

ما أخرجه مسلم والترمذي عن صهيب عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الله تعالى الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم)[23]

وفي حديث جابر وقد رواه ابن ماجة: «فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم).[24] وما اخرجه الإمام أحمد والترمذي والدارقطني وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية» ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» [25]. وهذا القول هو المعتمد عند أهل التحقيق ، ومن أوّل فقصد إنكار الرؤية.

وهنا تظهر الخلفية الاعتقادية للإمام الألوسي وانتصاره لأهل التحقيق من أهل السنة، مستعينا بأدلة عقلية ونقلية .

وكذا إنصافه عند ذكر أقوال القوم الخاصة التي يظهر عليها التوافق في الأصل الإعتقادي العام.

3. النتائج ومناقشتها:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هذا الرحلة العلمية مع تفسير روح المعاني للإمام الألوسي ، حيث الوقوف على منهجه في توجيه الأقوال وترجيحها متّبعا في ذلك الخطة التالية:

1. توصلنا إلة مجموعة من النتائج التي من خلالها وقفنا على أهمية الموضوع ، وكذا مكانة الإمام الألوسي وتفسيره روح المعاني، و منهجه القائم على التكامل والوسطية في اعتماد الأقوال والترجيح سواء من جهة العقل أو النقل، و من جهة التجديد والتقليد .وكذا عمق استدلالاته واختياراته التفسيرية.
2. سعة اطلاع الإمام الألوسي علةى أقوال السلف و أرائهم التفسيرية، وحرصه الشديد على توجيهها توجيها يناسب مراد الشارع و يحقق مقصود السياق العام للآية أمّا جمعًا للأقوال، أو ترجيحها.

3. منهج تركيبي جامع :يتميز الألوسي بمنهج فريد حيث حيث يقوم بسرد أقوال المفسرين ثم يحاول ما أمكن الجمع بينها إيمانا منه أنّ ذلك يثري المعنى إلاّ ما تعذر من الأقوال الشاذة أو المخالفة فب المعتقد.
4. عدم التعصب للرأي أو المذهب بل يقوم بعرض الأقوال كلها، ثم يرجح أو يلغي بناء على أسس علمية من غير اسنقاص أو طعن . وكذا انفتاحه على المدارس التفسيرية مع شيء من التحفظ.
5. أعتماده على الدلالة السياقية في ترجيح الأقوال، وهو ما يعرف بالتفسير السياقي
6. اعتماده على تنوع القرءات القرآنية ، حيث يرى فيها توسعا دلاليا.
7. التنوع المعرفي :يوظيفه لأدوات وعلوم مختلفة في ترجبح الأقوال من علم اللغة ، البلاغة، التصوف أوصل الفقه...وهذا ممّا يبرز تنوعا معرفيا يختص به الأمام الألوسي
8. نزوع عقلاني مضبوط :في بعض المواضع، يميل إلى تفسير عقلي للنصوص، ولكن في إطار لا يتعارض مع الثوابت الشرعية، ولا يتجاوز الحدود المرسومة للنص القرآني.
9. اعتماده على الأدلة النقلية والعقلية، ورفض ما يخالف ذلك
10. وقد حاولنا قدر المستطاع في استعراض ما أمكن استعراضه من النماذج التطبيقية التي تظهر منهج الأوسي وطريقته في اختيار الأقوال التفسيرية.

4. خاتمة :

يعدّ الأمام الألوسي من أبرز أعلام التفسير الذين سلكوا طريق توجيه أقوال السلف، حيث لم يتعامل معها كمشكل في التفسير ، بل فرصة لإثراء الجانب اللغوي والدلالي للمفردة القرآنية، منتهجا في ذلك طريقة فريدة حيث الموازنة بين السياق، والدلالة المعجمية، والجوانب الفقهية والعقدية، لجعل النص القرآني أكثر استيعابا لتعدّد المعنى، وكذا الانتقال من التفسير بالمأثور الخالص إلة التفسير الذي يستثمر الجوانب النحوية والدلالية والبلاغية... وغيرها وهذا ما

جعل الإمام الألوسي يقدم نموذجا فريدا ومتكاملا في توجيه أقوال السلف من خلال كتابه الموسوعي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

وفي نهاية هذا البحث نوصي بما يلي:

التوصيات:

1. العناية بمنهج الألوسي وغيره في الدراسات المعاصرة لما فيها من الوسطية في الجمع ماين الأصالة والمعاصرة
2. الاستفادة من روح المعاني في بناء التفاسير الموضوعية والسياقية، لما فيه من استبصار دقيق بمقاصد النص وسياقاته.
3. اعداد مقارنات منهجية ما بين الإمام الألوسي وغيره كالإمام الطبري و ابن عاشور...
4. الإشتغال على كتاب روح المعاني في الدراسات المعاصرة سواء من ناحية اللغة والقراءات، والمسنباطات. ما يكون سببا في إثراء الحقل ال تفسيري وإحياء الجهود التجديدية في الدراسات القرآنية.

5. قائمة الهوامش

1 – الزركلي (المتوفى: 1396هـ)،الأعلام، دار العلم للملايين،ط15، 2002 م،176/7.

2 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (المتوفى: 1270هـ)،تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،ط1 1415 هـ، 5/1.

3 – ينظر روح المعاني، للألوسي، 1415هـ، مج1،ص357-397 .

4 – روح المعاني،الألوسي: 1415هـ، مج1،ص293.

5 –المرجع نفسه مج2،ص6.

6 – البارع في اللغة،لأبي علي القالي(ت:365هـ)، هشام الطعان،مكتبة النهضة بغداد – دار الحضارة العربية بيروت،1973 – 1974ص94.

7 – جمهرة اللغة، بن دريد (المتوفى: 321هـ)،تح: رمزي منير بعلبكي،دار العلم للملايين – بيروت،ط1، 1987م،498/1

8 –الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الفارابي (المتوفى: 393هـ)،تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط4، 1407 هـ – 1987 م، مج6، ص2255.

9 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (المتوفى: 395هـ)،تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.141/6.

10- التعريفات،الجرجاني (المتوفى: 816هـ)،تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان،ط1، 1403هـ -1983م،ص69.

11- الفوز الكبير في أصول التفسير،المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي (المتوفى: 1176هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة - القاهرة، ط2 - 1407 هـ - 1986 م ،ص101.

12 - مجموع الفتاوي،بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)،تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،1416هـ/1995م،381/13.

13 - روح المعاني، الألوسي، المرجع نفسه،357/1.

14 - ينظر: روح المعاني،الألوسي، مج1،ص221-222-223.

15 - المرجع نفسه مج8،ص352.

16 - العدّة في أصول الفقه،الفراء (المتوفى: 458هـ)،تح : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية،الناشر: بدون ناشر- ط2، 1410 هـ - 1990 م183/1.

17 - روح المعاني:352/8.

18 - المرجع نفسه،265/15.

19 - قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: وما هو على الغيب بظنين بالظاء في مكان الضاد في قراءة غيرهم.ينظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع،عبد الفتاح القاضي (المتوفى: 1403هـ)،المكتبة السوادي للتوزيع،ط4 ، 1412 هـ - 1992 م،ص378.

20 - روح المعاني،الألوسي، 1415هـ ، 462/1..

21- المرجع نفسه،462/15.

22 - روح المعاني،الألوسي 160/15.

23 - صحيح مسلم: (المتوفى: 261هـ)،تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ح:1،161/181.

24 - حلية الأولياء، لأبي نعيم (المتوفى: 430هـ) ،السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م 208/6.

25 - سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)-ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)-وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر،ط2، 1395 هـ - 1975 م (الترمذي الصفحات688/4)ح:. 2553.